ألم الذات وتشظي الهوية في القصيدة النسوية العراقية المعاصرة / دراسة تحليلية في بنية النص وابعاده السايكولوجية

Self-Poverty and Identity Fragmentation in Contemporary Iraqi Feminist Poetry / An Analytical Study of the Text's Structure and Psychological Dimensions

أ.د. كاظم فاخر الخفاجي **م. رحمن عيسى صافي**

Kazem Fakher Al-Khafaji **Rahman Issa Safi Al-Saidi**

Kadhem2000100@gmail.com **rahman@edu.shu.edu.iq**

الملخص:

كشفت لنا الدراسة في البحث الموصوف بـ (**الم الذات وتشظي الهوية في القصيدة النسوية العراقية المعاصرة**) على اهم تجليات الألم وابعاده النفسية في النص النسوي. كما ويهتم هذا التخصص بدراسة الظواهر الأجتماعية والفنية والجمالية في ضوء المقاربة السايكولوجية، باستخدام المنهجية الكمية من جهة، أو المنهجية الكيفية من جهة أخرى، أوهما معا كما أن التشظي في الشعر النسوي العراقي المعاصر، سمة لافتة في التجارب الشعرية المسكونة بجدل الذات والعالم المشغول بالرغبة في الانعتاق من القلق والحيرة، ومواجهة الإحباطات الداخلية على المستوى الشخصي والإنساني، والاجتماعي بروح نضالية وعقل مفكر.

الكلمات الافتتاحية: الألم، التشظي، الهوية، القصيدة النسوية.

Summary.

The study, titled "Self-Pain and Identity Fragmentation in Contemporary Iraqi Feminist Poetry," revealed to us the most important manifestations of pain and its psychological dimensions in the feminist text. This specialization is also

concerned with studying social, artistic, and aesthetic phenomena in light of the psychological approach, using the quantitative methodology on the one hand, or the qualitative methodology on the other hand, or both together. Fragmentation in contemporary Iraqi feminist poetry is a striking feature of poetic experiences haunted by the dialectic of the self and the world preoccupied with the desire to be freed from anxiety and confusion, and to confront internal frustrations on the personal, human, and social levels with a combative spirit and a thinking mind.

Keywords: pain, fragmentation, identity, feminist poem

المقدمة:

مرت القصيدة العربية الحديثة بتحولات عميقة على مستويات، البناء، والرؤية، والتشكيل، وطرحت تجارب شعرية تتجاوز الإرث الكلاسيكي، وغنائيات الرومانسية الحالمة، والمتأمل للمتن الشعري المعاصر يرى انفتاح القصيدة على فنون ادبية وغير أدبية، وتداخلها مع نصوص عربية واجنبية، واستخدامها تقانات وأساليب في بنائها مستعارة من مرجعيات عدة[1]، ويأتي ملمح التشظي في الشعر المعاصر، سمة لافتة في التجارب الشعرية المسكونة بجدل الذات والعالم المشغول بالرغبة في الانعتاق من القلق والحيرة، ومواجهة الإحباطات الداخلية على المستوى الشخصي والإنساني، والاجتماعي بروح نضالية وعقل مفكر.

كما أن علاقة الذات المتشظية بالواقع الذي تعيش فيه، تحتاج إلى وسائل بديلة تتخذها سبيلاً لقهر انشطارها، ففي ظل جدلية الذات والموضوع ينشطر وعي الشاعر وتهيمن عليه الرؤية الداخلية فتنكسر خطية الزمن حين يعتمد على الذاكرة ليتمظهر وعي الذات في شكل آلام، وانكسارات، وتشظي، ورغبة في الانعزال، وقلق مستمر من مشاعر الوحدة والعزلة والمستقبل المجهول، والعجز عن الوصول إلى حالة انسجام وتصالح مع الموضوع لتنبثق حمم الألم على شكل أنوات متفحمة، ولعل أحد أهم سمات الحياة في الواقع المعاصر انها تضيق وتتداخل الى حد الشعور بالتلاشي، فيبحث الإنسان في ظل تلك الدوامة عن الانفلات من الكوني إلى عالم لا يخدشه الآخرون، وتسعى الذات دائماً إلى البحث عن هويتها لإثبات وجودها وذلك لإرتباط احدهما بالآخر، على اعتبار أن الهوية هي الذات والخصوصية، لما تحويه من مبادئ وقيم ومفاهيم، تجعل منها العنصر الأساس في تشكيل شخصية الفرد والمجتمع من حوله، كل ذلك جعل هدف الفرد أولاً واخيرا في هذا الكون، السعي جاهداً لإثبات ذاته والعيش بكل عفوية وحرية، إلا أن الظروف الصعبة والقاهرة التي غالباً ما تأتي متناقضة مع مبادئه تعمل على زعزعة يقينه بمثالية ذاته وقدرتها على

مسايرة الحقيقة لإدراكها، مما يدفعه إلى الانسلاخ منها وتشظي عنها، فيصبح غريباً عنها، فتكون بذلك ذاته المتضمنة لعدد من الأحاسيس والآراء مسلوبة منه فيحاول التسامي بها كي يستعيد ثقته بنفسه وبغيره لكنه يبقى حائراً في الوقت نفسه فلا يرى للوجود معنى[٢]، ومن ثمّ تكون نتيجة الإستبداد الواقع عليه، أن تشعر الذات بالانكسار أو الإغتراب أو التشظي، فتعيش في عالم غريب لا تستطيع السيطرة عليه، وعاجزة عن تغييره، فـ((**الإنسان كينونة جوهرها العقل والحرية والانتماء والعمل، وأي مسّ بأحد تلك العناصر يؤدي بالإنسان للشعور بالاستلاب، الذي من مظاهره الشعور بالدونية، واللامبالاة والشعور بالضعف والإنهزام، وانشطار الذات في تعاملها مع العوامل الثقافية والاجتماعية التي تحيط بها، الأمر الذي جعل المرء عاجزا وفاقدا لمقومات الإحساس المتكامل بوجوده، مما يجبره على البحث عن هوية مساعدة يمكن بها أن يواري خوفه واغترابه**))[٣]، نتيجة لـ((**وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته وبين البيئة المحيطة به بصورة تتجسد بعدم الانتماء والسخط والقلق ما يصاحب ذلك من سلوك أو الشعور بفقدان المعنى**))[٤]، فتشظي الذات يمثل حالة نفسية شعورية يمر بها الفرد، نتيجة لعدم قدرته على الإنسجام والتعايش مع العالم الخارجي، فيتطلع تبعاً لذلك إلى الإنعتاق عن العالم المحيط به، إلى عالم من صنع نفسه، إذ تتعرض هوية الإنسان لهزات وجودية، نتيجة التفاعل السلبي وهو ما يجعل إنتماء الإنسان مشوهاً.

منهج البحث:

ولا شك أن المناهج النقدية الحديثة ومن بينها المنهج النفسي هي ثمرة ثقافة غربية وربما تكون هي حصيلة حضارتها المادية، وإنها انتقلت الى العالم العربي، فلم يعد بوسع نقادنا إلا التبني أو التقليد أو إعادة التصنيع – ان صح القول – بحسب ما يناسب الحضارة العربية، وهذا ما حدث عند ظهور المناهج السياقية والنصية التي عرفها الوطن العربي منذ نهاية الستينيات، ومن هنا جاءت رغبة الباحث في الدخول في هذا المضمار من خلال الكشف والتنقيب ليرتاي أن يقوم بتحليل نصاً شعرياً، معتمداً في ذلك على طريقة أو إطار عمل يُستخدم لفهم السلوك البشري أو المشكلات النفسية، مثل المنهج السلوكي أو المنهج المعرفي أو المنهج الديناميكي النفسي) المنهج النفسي التحليلي)، فهو يوظف الألم في النصوص الشعرية وأثرها النفسي، وهذه الدراسة النفسية للنصوص الشعرية النسوية التي تجسد مونتيف الألم نتيجة التشظي الهوية وانشطار الذات في دواوينهن الشعرية، فهي تقوم

على الدلالات ذات البعد النفسي ووصفها لذلك ثم تحليلها ثم استخراج النتيجة وتعميمها ضمن الحدود المناسبة، فهو في ذلك لا يخرج مجمله عن عملية الوصف و التحليل من أجل الإحاطة بآليات المنهج السايكلوجي و تمثلاته في المدونات المدروسة.

مشكلة وسبب اختيار الموضوع:

تشكلُ تجربةَ القصيدة النسوية مثالاً للقصيدةِ العراقيةِ الحديثةِ، ومن توظيفه الدلالي ذات الأثر النفسي الذي اثرهن به نصوصهن بشكل لافت ومميز؛ وعلى هذا الأَساسِ فقد تم اختيارُ هذا الموضوعِ مبنياً على الأَسس الاتية, أَهمها:

❖ نحاولُ من خلال هذه الدراسة، تطبيق واحدة من أهم النظريات النقدية الحديثة التي عنيت بإعادة دراسة النص الأدبي، منطلقين من بوابة مفهوم (المنهج السيكلوجي) محاولين الربط بين النظريات الغربية والعربية المعاصرة من خلال تطبيق مفاهيم حديثة على الشواعر.

❖ كيف تجلى الألم في شعر الشواعر العراقيات، وما الأَبعاد الدلالية والنفسية والفنية التي اكتسبتهن قصائدهن من هذا التوظيف المستدعى؟

❖ ما تقانات التوظيف الرمزي (للألم) الذاتي التي وظفتهن الشواعر في سياق قصائدهن؟ وما دلالة ذلك الانشطار في التعبير عن هوية الشعرية مستلبة وفق رؤية ذاتية؟

❖ ستقراء حضور الذات وحصرها في أشعارهن، والكشف عن دلالة الألم بأبعاده المختلفة.

كما يستدعي البحث في موضوع الألم والتشظي الذات، التعريف بمصطلح التشظي قبل كل شيء، فهذا المصطلح على الرغم من قلة استعماله في العلوم الإنسانية؛ إلا أنه لا يعد من المصطلحات الشائكة، والعصية، إذ نستطيع من خلال مراجعة سريعة للمعاجم العربية القديمة المعنى اللغوي لهذا المصطلح، حيث لا نجد اختلافاً يُذكر حول جذر الذي اشتق منه مصطلح التشظي، والذي يختصر ما ورد في المعاجم بمعنى: التفرّق والتشعّب والتشقّق والكسر. إذ يقول **ابن فارس** في أصله اللغوي:((**الشين والظاء والحرف المعتل أصلٌ يدلُّ تصدُّع الشيء من مواضع كثيرة، حتى يصيرَ صُدُعاً متفرّقة**))[٥]، وفي لسان العرب قال فيه **أبن منظور:**((**تشَظى الشيءُ: تفَرّقَ وتشَقَّق وتَطايَر شظايا... وشَظَّيتُ القومَ تشْظِيَةً، أَي: فرَّقْتُهم فتشَظَّوا أي تفرَّقوا، وشظي القومُ إذا تفرَّقوا**))[٦].

إما في تهذيب الزهري: ((شواظي الجبال هي الكسر من رؤوس الجبال، والشظية من الجبل قطعة فُطعت منه، مثل الدار ومثل البيت))[٧]، وهذا المعنى قريب

لاستعمال مصطلح التشظي في الدراسات النقدية والأدبية، فالنص المتشظي نصّ تفرّق وانكسر وفقد تماسكه، وإن كان يدلّ على كلّ واحد كالجبل الذي سقط منه بعض الشظايا لكنّها ما تزال في حدوده، واوضح **أريكسون** أن الإحساس بأزمة تشظية الذات، ربما يكون من أكثر الصعوبات التي يعاني منها الفرد، إذ ينتابه شعور بأنه منبوذ من قبل أقرانه، وأكثر من هذا إذ يشعر أنه ينبذ حاجته للإحساس بالهوية، وأكد أيضاً أن بعض الأفراد يسمحون لأنفسهم بالإنصهار مع نوع من الجماعات توفر لهم تفضيلات الإحساس بالهوية[٨].

ويسعى هذا البحث لمقاربة التشظي وما ينتجه من جدل الذات في نتاج الشاعرات رؤيته النص النسوي لنفسها وللعالم حولهن، ومحاولة رصد آليات واساليب يمكن أن نعدها وسائلاً لتحقيق فاعلية التشظي، والاجتهاد في تقديم تصور نظري له مدعما بالتطبيق، ومن امثلة هذا الجانب التطبيقي برزت الشاعرة **فائدة آل ياسين** من خلال مدونتها الشعرية الموسومة بـ(**صخب المرآة**)، وتحديدا في قصيدتها الموسومة بـ(**امرأة الظل**)، فيها تبحث عن ذاتها المنسية؛ إذ فيها تقول:

أبحث عني
بين دفاترك المنسية
في قاع يديك المتصحرة العطشى
أبحث عن عينٍ ائتلقت يوماً
فأثارت في جوف الأرض غباراً
... ...
بين سواق زرقاء
من غيم ابحث عني
فوق ضفاف الجرح الغائر
بين حنايا ذاكرتي الحرى المرتبكة
ما بين عيونك والدمع
وتلاشت في عمق الصدق
قد عثر الخوف عليه
وانا اقبع في جوف الظل[٩].

تعبّر الشاعرة في نصها السالف عن ضياع ذاتها وتشتتها، بعد رحلة بحث متأرجحة بين نظرة الآخر وانكسار تلك النظرة بالدمع، في محاولة العثور عليها في ذاكرة الآخر في بقايا العلاقة العاطفية المنسية عندما تبحث ذاتها (**بين دفاترك المنسية**)، لكن البحث يتم وسط أرض قاحلة وظروف نفسية خانقة تمثل في ذلك بتوظيفها جملة (**في قاع يديك المتصحرة العطشى**)، إذ تتحول العواطف وتتراءى على شكل علامات واشارات تجسدت من خلال ألفاظ بعينها شكل معجمها اللغوي اعتمادا إلى أماكن جغرافية داخلية شكلت ذاتها عبر:(**بحث/ تصحر/ عطشى/ قاع/ اقبع/ عمق / تلاشت/ جوف/ الظل**)، جميعها ألفاظ دالة إلى ذكريات مهملة لم ماضٍ يعد الآخر يلتفت إليها أو يكترث له، مما شكلت

حالة من الألم والشجن، وكأن الشاعرة تبحث عن أثرها في مدونات عاطفية تم طيها ونسيانها، فالأيدي التي كانت تمنح أصبحت خاوية، قاحلة، تفتقر للحياة، رغم سعي الشاعرة الحثيث للمزج بين الأمل والحلم، لكنها تبحث فيهما عن ذاتها الضائعة، في إشارة إلى ذاكرة مليئة بحرقة الشوق والارتباك العاطفي، أي أن الداخل نفسه ليس مستقراً لتجد فيه الشاعرة ضالتها، لتحمل لنا النهاية استسلاماً أو انزواءً في العتمة، إي أن ذات قابعة في جوف الظل، وانسحابها من الضوء عزز الشعور بالانكماش والجمود، في مشهد مأساوي ثلاثي الآهات ما بين (الحياة، المواجهة، الحب)، فتنقسم الـ(أنا) بين أماكن، وأزمنة، وصور متباعدة، وكأن الشاعرة تبحث عن ذاتها في مرايا متكسّرة لا تعكس صورة كاملة، فالتشظي الكامل هنا داخلي بامتياز، إذ الذات لا تجد استقرارها حتى في أعماقها لتنسحب إلى الظل، أي مكان نصف مرئي، نصف معدوم. هنا تنتهي الذات إلى عزلة قاتمة، بعد أن كانت تبحث في فضاءات متعددة، إحساس بالتهميش والنبذ، فالألم هنا من الاستلاب الداخلي يُنتزع منك وجودك قبل أن تجده أنت إلى نهاية تعكس ذروة الألم ما بين اروقه النسيان، لكشف الانكسار الداخلي وتعرية هشاشة الذات.

إما **بشرى البستاني** فترى من اكتسابها للمعرفة سبباً رئيساً لتيه الذات وانفلاتها إمام محنة العلم والمعرفة ومضي في طريق، فالطريق إلى النص مشحون بطاقة التيه والانكسار كنوع من تجليات الألم ومآسيه :

الجحيم أنَّ أحطم أغلفة القلب ،
فلا أراكْ
وأية مكابدة..!
أن أقف وسط المحنة يخونني الطريق..
والمعرفة ألم..
والألم حكمة .. [١٠].

إنّ القلق الذي تظهر عليه الذات الشاعرة في النص، لا يعني تشظَي الهوية وانكسارها فقط، بل هو قلقٌ من نوع آخر، قلق الذات الواعية تتشظى جراء ذلك الانكار والتهميش، قلق الانسان الواعي الذي يعاني صراعاً وجوديّاً، كما تقول الدكتورة نوال السعداوي:((**إنَّ القلق ينطوي دائما على صراع داخلي، هو صراع الانسان بين أن يكون أو لا يكون أو بين أن يوجد أو لا يوجد، ولهذا لا تشعر بهذا الصراع المرأة غير الواعية بوجودها وكيانها... فالقلق هنا قلق انساني رفيع المستوى، وليس ضعفاً، وليس مرضاً، ولكنه نوع من الصراع القوي والصمود الانساني العنيف في مواجهة القوى المعادية لوجود الانسان، وأنه شعورٌ قويٌّ يتعلق بكيان الانسان كله، كيانه من خلال عمله، وتحقيق ذاته من خلال نجاحه**))[١١]، هنا القلق

يسهم في تشكيت الذات، والمرأة الواعية المثقفة أكثر تعرضاً لهذا القلق، فقلق الذات متأت من وعيها، فالمعرفة التي تمتلكها جلبت لها الكثير من الألم والحزن اللذان شكلا ذات الشاعر المتشظية، فالقرار الاصعب تجسد عند قولها: (**أن أقف وسط المحنة يخونني الطريق**)، فالنص يُبنى على جدلية الوعي والجهل، حيث تظل «الأنا» في حالة مطاردة لذاته عبر فضاءات الآخر، تركّز على تفتّت الهوية وفقدان المرجع النفسي الذي يعيد صياغة الذات عبر فضاءات رمزية مفعمة بالعزلة فجسدت محنة الشاعرة ما بين تيه الاختيار وخيانة والقرار.

تعمد الشواعر في بعض نصوصها إلى ذكر أسمها الصريح في النص، وهو يمثل الوجود التام، أو في احالته على شخص واقعي تنسب إليه مسؤولية تلفظ النص المكتوب، إذ تبدو القصيدة ذات تمظهر سردي ينتمي إلى مرحلتها، إلا أنها في الوقت نفسه تبتعد عنها لتؤسس مقولاتها النصية، ومنتجاً للخطاب في الوقت نفسه فتحيل الذات إلى التشتت والتشظي، من ذلك ما نجده في نص سؤال أبكم للشاعرة **وفاء عبد الرزاق**، إذ يقودها التشتت والتيه إلى البوح خطاب ملؤه ألم وهي تبحث عن ذاتها المتشظية فتقول:

أفتحُ كتاباً أبحثُ فيه أو بين كلماته
عن نفسي
اجد وفاء تفلت مني
تصبح بما ليس لها
وما بعد فكرتها
أو تخليها لواقع إفلاس يؤطر المستقبل
ألجأ إلى معجم اللغة
باحثة عن أسم جديد لي[١٢].

تشي القصيدة بتشتت الهوية الانثوية وتمزقها، فالشاعرة تشعر بالضياع، وتبحث عن ذاتها في الكتاب، في دلالة خرجت لنقد المنظومة الثقافية كلها، البيئة التي تعيش فيها، بنظامها الذكوري المهيمن، إذ اتخذت من اللغة وسيلة لإعادة تشكيل هويتها، اذ جعلت من رمزية اسمها نقطة صراع؛ على اعتبارها كونها البنية المركزية الذكورية، فهي تحاول البحث عن اسم بديل؛ لتواجه هذه البنية التي ولدت أنوثة نمطية وخاضعة لها، فالشاعرة تحاول الهروب من اسمها، الذي من المفترض ان يكون تعبيرا لفظيا عن هويتها وعن ذاتها، وهذا الهروب يمكن ان نعده هروباً عن واقعها كله، وكل ما تراه من تداعيات الحياة والمجتمع هو سجناً لها، ومحدد لمستقبلها المجهول، وتقيده في إطار معانٍ مسبقاً، لا تتيح لها العيش خارج حدود واقعها الافتراضي، بذلك يحمل هذا التشظي دلالات ليست حيادية، بل وظفتها الشاعرة لبناء ذات مقاومة ورافضة وغير خاضعة للتبعية الانظمة والسلطات الابوية

والمجتماعيـة، وتقاضيهـا منـذ البـدء، مـما يؤكـد ازمـة هويتهـا الراسـخة التـي حدتتهـا اللغـة وفرضهـا الواقـع الاجتماعـي والثقـافي، وهـذا ممّـل يؤخـذ عـلى النـص، فضـلا عـن التوجـه المظلـم والقاتـم في تقديـم الهويـة بشـكل سـلبي للغايـة كالإفـلاس والعجـر ناهيـك عـن مـا اعتراهـا مـن تشـتتت وتيـه وتشـظي جعـل مـن الـذات فاقـده لهويتهـا المضطربـة.

إمـا الشـاعرة **علياء المالـكي** تـرى في طبيعـة العزلـة والانكسـار نوعـا مـن تشـظي الذات وانشـطارها ففـي ديوانهـا (طوق الفراشـة)، وتحديـاً في نصهـا الموسـوم(عزلة الـورد) تقـول فيـه:

في عزلة الوقت،
تتساقط امنياتي كأوراق الخريف
أجلس على عتبات الغياب،
أعدّ خساراتي واحدةً واحدة،
ولا أحد يسمع شهقات قلبي المكسور
العالم البعيد...
والامل يرتجف في زواية معتمة.
كل الطرق تؤدي إلى الوحدة،
وكل الأبواب توصد وجهي حين أهمس:
أما آن لهذا الانكسار أن يرحل؟ (١٣).

في هـذا النـص ترسـم الشـاعرة مشـهداً لطبيعـة الشـعور بالوحـدة والاعتـزال؛ لاكتفـاء الشـاعرة بجلـوس عـلى (**عتبـات الغيـاب**) التـي يقـرن عزلتهـا بـآلام الوقـت وهـي تعـد خسـاراتها التـي لا تعـد، وقـد ارتـأت لهـذا الِاتّـكاء عـلى حجـر، مكانـاً تتجـرّد مـن تفاصيـل (**العـالم البعيـد**) المنظـور، وهـو (ألم لانكسـار) في إشـارة إلى مـا يمكـن أن تصـف الشـاعرة في نصهـا اعلاه طبيعـة ذلـك الشـعور بالوحـدة، ليـس في المـكان فقـط بـل حتـى في مـرور الزمـن، وكان الوقـت نفسـه أصبـح عزلـة تحـاصر أمنياتهـا المتسـاقطة (**تتسـاقط امنيـاتي كأوراق الخريـف**)، تعبـيرا يحمـل بـين طياتـه الحـزن والنهايـة يوحيـان إلى الفـراغ، فـأوراق الخريـق كنايـة عـن تسـاقط تلـك الامنيـات، لتعطـف ذلـك القلـب المكسـور بالأمـل المرتجـف عنـد حـدود الزوايـا المظلمـة جسـده قولها:(**والامـل يرتجـف في زوايـة معتمـة**)، ذلـك الظـلام المعتـم القائـد كل الطـرق إلى الوحـدة وتغلـق كل الأبـواب في وجهـا حتـى يتحـول ذلـك الانعـزال والشـعور بالضعـف امـام السـلطة الابويـة وسـطوة المجتمـع التـي تـشي بالاحتيـاج للآخـر الخضـوع الـذي الاعتراض/ الهمـس الـذي يغلـق(**كل الطـرق تـؤدي إلى الوحـدة**)، وعـبر نفـي بنيـة الوحدة تتشـكل بنيـة عزلـة الشـاعرة وانكسـارها التـي تـرى مـن خلالهـا ذاتـه متجـردة عـن كل مـا يحيـط بهـا مـن تجاهـل وتهميـش، حتـى تحـين لحظـة اعـلان اعـلى تجليـات الضجـر ذلـك السـؤال الاسـتنكاري لطبيعـة أوان ذلـك الزمـن المنعـزل المـؤدي الى الانكسـار (**أمـا آن لهـذا الانكسـار أن يرحـل؟**) وفي هـذا الموقـف اشـهار عـن عـدم الحاجـة للآخـر الـذي يتضمنـه الواقـع الـذي تتيحـة

(الوحدة) لتلجأ إلى العزلة التي تتصاعد وحالة الازدراء من الواقع والمجتمع.

اظهرت مجموعة من القصائد ميل مجتمعنا(الذكوري) إلى إعطاء كافة الحقوق للرجل وإن كان مخطئاً، وتجريد الأنثى منها، إذ أظهرت القصائد أشكالاً من الظلم المجتمعي واستلاب حقوق المرأة، فقط لكونها امرأة، ومن ثم اقصاء وتهميش الموقع الذي تشغله مهما كان؛ كونها واقعة تحت لواء الرجل بموقع الخضوع والتبع، حتى بات يتحكم في مصيرها، ويرسم سير حياتها، مما اثار حفيظة الكثير من الشاعرات العراقيات، ومن بينهن الشاعرة **سهام جبار** التي عادت ذاكرتها إلى الوراء لتبرز التاريخ الطويل لاضطهاد المرأة، والتقليل من اهميتها في طريقها للنجاح واثبات الذات، فبرزت اناتها مضخنة بالعتاب والألم، كما نقرأ في مدونتها (**قديماً مثل هيباشيا**)، قالت فيها مستذكرة ذلك السلخ:

قديماً مثل هيباشيا
سلخوا جسدي
وكنت أحسب العلاقة
الرياضية لبقاء الأزمنة
على الأجساد
ومثلما رتّقتُ ذلك الجلد
اعتصرتُ المشاهد من العيون
فإذا بهم ليسوا هم
وإذا بهم ما زلتُ أنا[١٤].

في هذه القصيدة، تستهل الشاعرة سهام جبار محنتها بالألم عبر ثنائية السلخ والجرح، أي وبين الاضطهاد والتسلط نتيجة التفوق العلمي والفلسفي حيث يصبح الرمز هيباشيا عنصرًا غامضًا يحمل معنيين متناقضين: الحياة والدم، بالاعتماد على مصادر قديمة، إذ اتكأت الشاعرة على النهاية المؤلمة لهيباشيا؛ إذ كانت أول فيلسوفة تقتل بيد الرعاع وبتحريض من قبل رجال الدين اتقياء يخافون الله، ومزقوا ملابسها وجسدها بشظايا من الفخار، وسملوا عينيها وهي حية، وسحلوا جثتها في شوارع الإسكندرية، ثم أحرقوا رفاتها[١٥]. والشاعرة تستذكر وتستنكر تلك المسرحية (مسرحية العدالة السماوية) التي يتحدث عنها رجال الدين القتلة المارقون، اعادة نفس التاريخ في تجليات الشاعرة وذاتها الحزينة يوحي ببداية خالية من الأمان، مشوهة، كأن الزمن نفسه قد فقد مرجعيته، مشهد شعري يتأرجح بين الجمال والوجع، ويجسد الألم والحقد ونبذ الكراهية وتهميش دور المرأة وتفوها العملي، لكنه في الآن ذاته «صمت الغياب»، أي إن التشظي للذات هنا لا يُشعر بالراحة بل يعمّق الإحساس بالخسارة والم النظرة الدونية وتمجيد السلطة الابوية والدينية، والشاعرة تمارس هنا رمزية الالم الحدث الاستذكاري، الذي يثير إحساسًا مضاعفًا

بالتشظي.

في ظل مجتمع ما بعد التغيير، برزت نصوصها كصرخات شعرية تفضح القهر، لكنها لا تقع في فخ البكائية، بل تقدم المرأة كمصدر للخلق والتجدد والمواجهة، لذا تميزت آمنة محمود بنزعة احتجاجية ناعمة، فقصائدها كثيرًا ما تُحمِّل الرموز مسؤولية البوح بما لا يُقال صراحة، واستخدمت تقنيات مثل التكرار، والارتداد الزمني، والاستعارة المكثفة، مما منح نصوصها بعدًا نسويًا يرفض القوالب الجاهزة، هذا كله لم يقيها تيه الذات وتشظظها، ففي قصيدة (**قبر الحكاية**)؛ نص القصيدة مقتطفًا منها:

لا شيء
غير لسان الحكاية المدفون في فم الغياب
وأنا
أغسل وجهي كل صباح بالملح
كي لا أنسى
أن الماء لم يعد يسيل من العين
بل من القلب»[١٦].

تُعد قصيدة (قبر الحكاية) مثالًا على الحفر العميق الذي تقوم به الشاعرة في الذاكرة الشخصية والجمعية للمرأة العراقية، فالنص محمل بدلالات التشظي والالم ونبذ التفرقة والدونية، ومعبئ بمداليل الحسرات، وآهات، والألم، منذ عتبة العنوان الى اقصى جغرافية النص، فالعنوان متكون من كلمتين جسدت ذلك الالم والتوهان، كيف لا وقد قدمت القبر على الحكاية، فلم تقل (حكاية القبر)، لما يحمل ذلك التوصيف من سردية الوجع فدلالة القبر ذات الرمزية الموت والنفي، لذا بدأ النص بنبرة انكسار، ثم أخذ مسارًا تصاعديًا في كشف مفارقة الحياة والموت، الحضور والغياب، الحقيقة والأسطورة. تستخدم الشاعرة في هذه القصيدة بنية شبه سردية فعل التذكر (حكاية)، لكنها تقطع السرد برموز شعرية دالة على الخسارة والخذلان. فـ(**لسان الحكاية المدفون**) يوحي بأن الرواية الحقيقية للألم لا تزال مطموسة، وأن المرأة الشاعرة ما زالت تناضل لتستعيدها من بين الأنقاض، لتتحول صورة (**غسل الوجه بالملح**) إلى طقس شعري، حيث الملح رمز للتطهير، لكنه أيضًا رمز للدموع اليابسة. وهذا التحول في المعنى يعكس قسوة التجربة الأنثوية في واقع فقد فيه (**الماء**)، أي الحياة الطبيعية، سلاسته.

تصيب المراءة وتصدم بظواهر واقعية متتالية تحطم من خلالها احلامها، فتصيب ذات الشاعرة بخيبة أمل وإحباط لقصة حب لم تكتمل او لفقدان حبيب أو وطن، وهذا ما يجعلها تلجأ إلى الكلام لتعبر عن ألمها فلم يعد متسع للتمني، وليبقى النص صامتاً ألما ومجبراً في سرد تشتتها وتشظي ذاتها، وغياب ملامحها

كأنثى وضياع تطلعها إزاء احداث رسمتها **ريم قيس كبة** في (خرافة) قائلة:

عشقتني؟
ماذا ترى عِشقت فيّ؟
غربة؟
حطام أنثى؟
خيبة؟
أما أنا
فقد عشقت فيك
ملء خيبتي
خرافةُ
تدعى الوطن[١٧].

شكل لنا الاستفهام ثيمة رئيسة في النص إلا وهي ثنائية (الحطام والخيبة)، لتصف فيه تشظي ذاتها، وانكسارها، وغربتها، وحطامها، وخيبة أملها، وضيعها بضياع الوطن، لتشكل لها غربة اعلى درجات الخيبة والحطاب وهي تصف بتعجب خرافة الوطن، لتعبر عن مظاهر الدهشة والتعجب والمشاعر المصطحبة والمضطربة داخل الذات، تلك الانطباعات التي تركتها الشاعرة جاءت مترجمة لادفقاتها الشعورية وتقلباتها الذاتية ومعاناتها النفسية جراء تأرجح الاحداث وقسوة الاغتراب، فالتشظي الذي اعتلى النص جاء كاشفا عن فكرة ثنائية ضدية تجسدها(الحب والحرب) اذ لا وجود للحب وقضايا الغرام في ظل أروقة الحرب وخراب البلاد.

تصور لنا الشاعرة **دنيا ميخائيل** قدرتها الإبداعية على الاندماج في الماضي الذي تطلعت من خلاله إلى المستقبل في لغة حوارية مع ذاتها المتشظية، إذ وصفت حالتها الوجدانية المتشعبة بالأحداث لتقص على المتلقي حقيقة ذلك التشظي الذي لازمها، لتمتد على مدار محطات العمر، وتتحول من البعد الشخصي والهجرة النفسية وتصبح الذات_أزدهم فيها الفقد والتشظي والخوف من المجهول كما في قصيدتها(نزهة في طفولة الضوء)؛ فتقول مستذكرة طفولتها :

« **كُنت طفلة..**
أصنع من حبات الرمل
قلائد
وأوطاناً سحرية
وأنا الآن ..
أصنع من ثقب الابرة
نافذةً للعالم
أذن..
ما زلت طفلة [١٨].

تذوب (أنا) الشاعرة - في هذا النص الشعري- في الآخر (ذاتها) في اللغة الحوارية التي تنم عن القدرة الابداعية للشاعرة، من خلال فعل التذكر(الحكائي) **كُنت** في جملتها:(**كُنت طفلة / وأنا الآن**) بين الماضي والحاضر، لتتعالى نزعة (الذات) عندها بالدور الكبير الذي تنهضُ به في الحياة حاضرًا وماضيًا، وقد أعانها أسلوبها الأنثوي وما فيه من استعمالها للصور المجازية التي تشيع

في النص دلالة على قدرة ألفاظها على انجاز كثير من المعاني.

إنَّ توظيف المرأة للعمل الكتابي وممارستها للخطاب المكتوب يمثل نقلةً نوعيةً في مسألة الافصاح عن أنوثتها؛ إذ أفصحت عن حقيقتها؛ فأشهرت أدبًا هيمنت عليه العقلية الذكورية لقرون طويلة؛ ولذلك كتبت المرأة، وانتقدت الحضارة التي أبعدتها عن المجال الثقافي؛ إذْ دخلت الى لغة الآخر، واقتحمتها، ورأت أسرارها، وفكت شفراتها، فتكلمت المرأة عن مأساتها الحضارية، وأعلنت إدانتها للثقافة والحضارة، وبينت أنَّ هذه الحضارة المزعومة ليست تحضرًا أو تطورًا فكريًا، فالحضارة التي تقمع المرأة ليست حضارة، فتقول الشاعرة **سمرقند الجابري:**

في سجني،
لاَ أشتهي وجباتٍ دسمةً
لَا أحبُّ هذا البيتَ
أخنقُ وجعِي،
..
غالباً أفكّرُ بثوبٍ أزرقَ
بأزرارٍ خشبيّةٍ
وأن أخرجَ هذا اليومَ في جولةٍ نهريّة
لكنَ السّجّانَ كلّفني بالطّهي
فتركتُ النّهرَ لحلمٍ آخرَ[19].

تتجلى في المقطع السابق صورة الذات المنكسرة ترصد الواقع وترفض كل إرهاصاته وفيه يظهر صوت المرأة صارخاً من الألم والقهر الذي تتعرض له في مجتمعها، فتصف مشاهدا مأساويًا تمر به الذات الأنثوية وهو تحولها إلى سجينة في بيتها، وكأن الذات الشاعرة تحاول الخروج من هذا العالم الضيق للدخول في عوالم مجازية ملبية للطموحات النسوية التي تحلم بتحقيقها والعيش من خلالها.

وتنقل لنا الشاعرة **ازدهار سلمان** صراع ذاتها المتناثرة وانفعالاتها المضطربة، لنلمس صدى الألم في كلماتها وهي تبحث عن مرسى تستقر فيه سفن كيانها فتقول بآسى:

أبحث عن مرسى
يحتملُ أناتي ويحتوي سكناتي
أبحث عن ميناء يبعدني عنك
حتى الميناء شعَر
بعبء آلامي
أين تراها تستقر الآهات؟
أحمالها ثقيلة
لذا قررتُ أنّ أرميها في البحر
ومه الموجةِ تلو الموجة
صدى قلبي المتّعبُ
يَضجُ في الفضاءِ
صارخاً
لماذا[20].

اعتلى النص ألفاظاً تتعلق بالحزن ومظاهر التيه وعدم استقرار الذات

تمثلت بالالفاظ(**ابحث/ اناتي/ سكناتي/ الابتعاد/ العبء/ احتمل/ تستقر/ متعب/ ارمي/ يضج/ لماذا/ ثقيلة/ الصراخ)** تصف لنا ألم تشظي الذات الذي خيم على مديات النص وانثرت على أروقة النص منذ الوهلة الاولى وامتدت إلى اقاصي مضامينه، لتعبر عن همها، واستمرار صراع الذات وعجزها؛ نتيجة عدم الوصول إلى ما تبحث عليه، لتخزن فيه مكنوناتها النفسية، وشعورها المكبوت دون تردد وخوف، واتضح هذا الامر جلياً بدلالته التي عبرت عنها الألفاظ الموظفة سلفا، اذ وصل الامر ان تتخذ من البحر صديقا وكاتماً لأسرارها ترمي عليه ثقل العواطف كناية عن آلامها وهمومها التي لم تستطع البوح بها، وفي نص آخر لها تتحدث فيه عن ضيق الوحدة التي تمكث في عماقها، وجلدها للذات التي اعتادت عليها، واعلنت إقامتها بالاشهار والقناعة تمثل ذلك الامر في عنوان مدونتها الشعرية والموسومة بـ(**أقنعها بالآتي)** في تؤكد لنا ان الحياة:

أقنعت نفسي بان الحياة
لحظة تمضي لا تعود
فما جدوى استغاثاتي
وأسرفتُ في تعذيبها
بشكاتي وكنت كلما
طعنتني دنياي
ندبتُ حظي
ولم اوجه علاتي[٢١].

ليظفر حوارها المونولوجي في التعبير عن صراع نفسي شكل ابجديات الذات المؤلمة والتي تقطن في داخلها، مما جعلها تصل إلى أن تتلذذ بتعذيب نفسها، وتندب حظها، وتجلد ذاتها التي كبلها وسبب لها تشظي الذات وانحسارها، مما اتاح للمتلقي أن يلتمس مأساة ذاتها وتشظيها في مشهدية التوظيف التي تحتشد بالوجع ومناسبتها مع حالتها المعنوية(**المضي/ عدم الجدوى/ لا عودة/ استغاثاتي/ جلدت/ بشكاتي/ طعنتني/ ندبت/ علاتي)**، والتي ترجمت اوجه الالام ومكمن العلل، في شكاية جسدت بها الشاعرة حالة الانهيار والتلاشي.

<u>نتائج البحث</u>

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها ما يلي:

- ❖ تشظي الذات هو تحقيق الشعرية من خلال بلاغة الانفصال والانشطار والم التشتيت، إذ تعتمد الشاعرة العراقية على تجربها الذاتية الفردية في سرده لأحداث مرت بها وعانت منها المرأة بصورة عامة، ولعل الشكل النص النسوي يطلب هذا النوع من أنواع الألم الذي يتصف بالذاتية الفردية ويحيل إلى ما هو شخصي.
- ❖ كشفت القصيدة النسوية العراقية المعاصرة من خلال معجمها الشعري عن حقل دلالي لكلمات دالة

على الشتات والبعثرة والتفريق، واعلنت عن الفوارق الثقافية واللغوية والسلوكية بين المنطقتين.

❖ إنَّ اندماج الشاعرة في الآخر وتشظيها وانشطارها، بأنماطه المتعددة يولد حالةً من انشطار بين الطرفين وتوحدهما تجاه أمر معين، فقد تميزت بحسِّها الأنثوي في اختيارها الألفاظ والمفردات التي تشيع فيها عواطفها وإحساساتها، وقدرتها الإبداعية وإثباتها لكيانها ومضاهاتها لـ (للذات) في تلك القدرة.

❖ سلط النص النسوي على قضايا اجتماعية لها دور رئيس في تشكيل الوعي الفردي والجماعي، وهنا يمكن القول: أن الشاعرة تستمد قيمتها من وجود الآخر(الواقع). فضلًا عن تميز كلّ شاعرة بمعجمها اللغوي الحزين الخاص.

❖ مارست الشاعرة عبر خطابها الشعري نقدا ثقافيا اجتماعيا كاشفا عن الطبقات الاجتماعية المنسية أو الهامشية عن طريق نقد المركزيات والعقل الذكوري.

الهوامش:

١- ينظر: التشظي في شعر بشرى البستاني(جدل الذات والعالم)، نوال بنت ناصر، مجلة الخطاب، مجلد ١٤، ع ٢٤، جامعة الاميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض،٢٠١٧م، ص٥..

٢- ينظر: الاغتراب الذاتي والبحث عن الهوية في رواية طشاري لإنعام كجه جي, م. د. سروى صباح رجب, (بحث)، ص١٢٤

٣- التشكّل الكاذب للهوية وأزمات الانتماء, قراءة في رواية حارس التبغ للأستاذ علي بدر، ص ٢٢.

٤- الاغتراب النفسي والاجتماعي, صلاح الدين احمد الجماعي، ص٤٩.

٥- معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩، مادة (ش. ظ. ي).

٦- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، مادة شظي.

٧- تهذيب اللغة، الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ج١١، ٢٠٠٠م، ص ٢٧٣.

٨- ينظر: المرجع في الصحة النفسية، اديب الخالدي، مكتبة غريان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ص ٣٨٤.

٩- صخب المرآة، فائدة آل ياسين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١١م، ص٥ .

١٠- خماسية المحنة ، بشرى البستاني، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان- الاردن، ٢٠١٢م، ص٨٩.

١١- لأنثى هي الاصل، نوال السعداوي، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر، د. ط، د. ت, ص١٥٩.

١٢- عشق البرق، وفاء عبد الرزاق، أفاتار للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٢٤م، ص١١٦.

١٣- عزلة الوقت، علياء المالكي، دار، ط٢، ٢٠١٨م، ص٣٤.

١٤- قديماً مثل هيباشيا، سهام جبار، دار الحضارة للنشر، دمشق، ط١،٢٠١١م، ص٤.

١٥- ينظر: هيباتيا ـ حياة فيلسوفة قديمة وأسطورتها، إدوارد ج. واتس ـ ترجمة صابر الحباشة ـ مراجعة محمد فتحي خضر ـ أبو ظبي ـ دائرة الثقافة والسياحة ـ كلمة ٢٠٢٣.

١٦- دنيا مخائيل،.
١٧- متى تصدق بأني فراشة، ريم قيس كبة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص٥.
١٨- دنيا مخائيل،
١٩- سمرقند الجابي، عشرون، ص٨-٩.
٢٠- حوارات الزمن، ازدهار سلمان، دار مرتضى للطباعة والنشر، بغداد، ط١، ٢٠٠٨م، ص٩٧-٩٨.
٢١- (م، ن) ص٢٣.

المصادر:

١- التشكّل الكاذب للهوية وأزمات الانتماء, قراءة في رواية حارس التبغ للأستاذ علي بدر.
٢- الاغتراب النفسي والاجتماعي, صلاح الدين احمد الجماعي.
٣- معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩، مادة (ش. ظ. ي).
٤- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، مادة شظي.
٥- تهذيب اللغة، الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ج١١، ٢٠٠٠م.
٦- المرجع في الصحة النفسية، اديب الخالدي، مكتبة غريان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.
٧- صخب المرآة، فائدة آل ياسين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١١م، ص٥ .
١٠- خماسية المحنة، بشرى البستاني، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان- الاردن، ٢٠١٢م،
١١- لأنثى هي الاصل، نوال السعداوي، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر، د. ط، د. ت،.
١٢-عشق البرق، وفاء عبد الرزاق، أفاتار للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٢٤م.
١٣-عزلة الوقت، علياء المالكي، دار، ط٢، ٢٠١٨م.
١٤-قديماً مثل هيباشيا، سهام جبار، دار الحضارة للنشر، دمشق، ط١، ٢٠١١م.
١٥-هيباتيا, حياة فيلسوفة قديمة وأسطورتها، إدوارد ج. واتس ـ ترجمة صابر الحباشة ـ مراجعة محمد فتحي خضر ـ أبو ظبي ـ دائرة الثقافة والسياحة ـ كلمة ٢٠٢٣.
١٦-دنيا مخائيل،.
١٧-متى تصدق بأني فراشة، ريم قيس كبة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
١٨-سمرقند الجابي، عشرون
١٩-حوارات الزمن، ازدهار سلمان، دار مرتضى للطباعة والنشر، بغداد، ط١، ٢٠٠٨م،

الدورات والبحوث والمجلات:-

١- التشظي في شعر بشرى البستاني(جدل الذات والعالم)، نوال بنت ناصر، مجلة الخطاب، مجلد ١٤، ع ٢٤، جامعة الاميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض،٢٠١٧م.
٢- الاغتراب الذاتي والبحث عن الهوية في رواية طشاري لإنعام كجه جي, م. د. سروى صباح رجب, (بحث).